الهلال

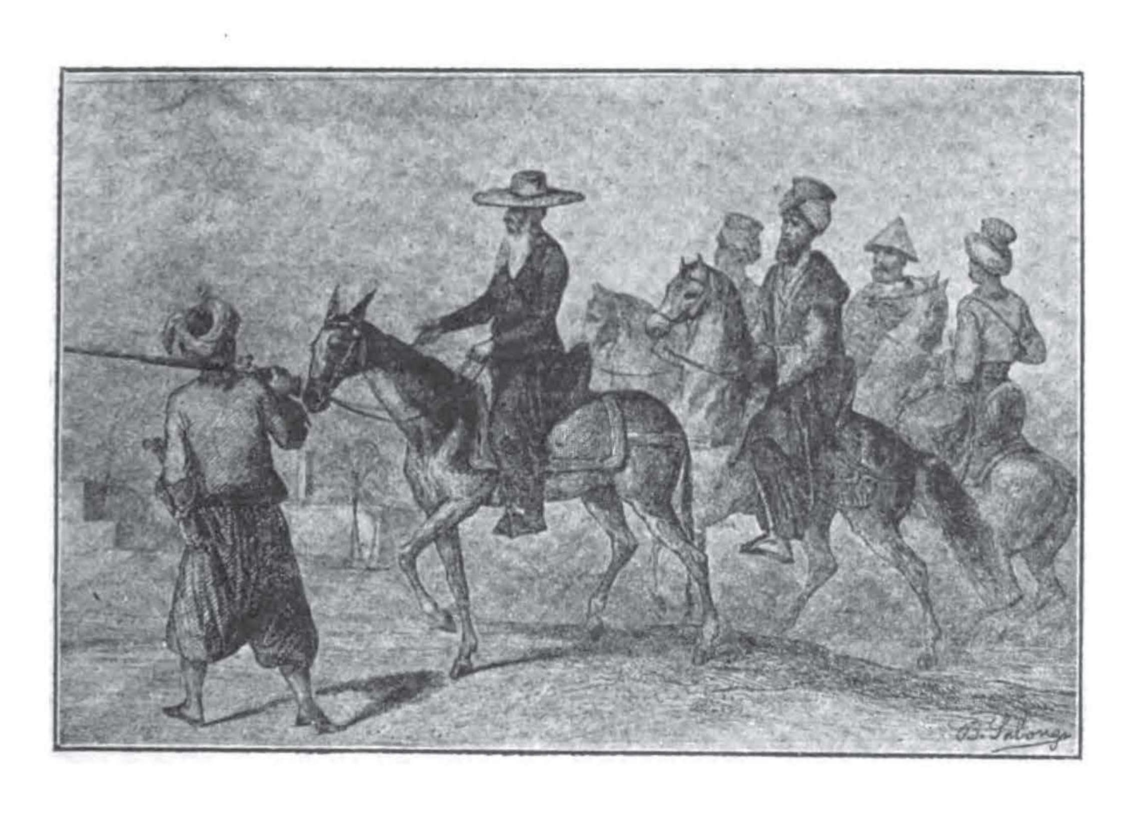
الجزء السابع عشر من السنة العاشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ و ٢٤ صفر سنة ١٣٢٠

محمد علي باشا

احتفلت الحكومة المصرية بمرور قرن (هجري) كامل منذ تولى محمد علي باشا عرش الخديوية المصرية. ويسرنا ان الهلال كان أول من نبه الاذهان الى هذا الاحتفال منذ خمس سنوات فنشرنا رسم محمد علي في صدر الهلال السابع عشر من السنة الخامسة والتمسنا من الامة المصرية ان تحتفل بمئة عام انقضت منذ وطئ هذه الديار وقلنا « نصدّر هذا الهلال برسم هذا الرجل العظيم تذكارًا لمئة عام هجرية انقضت منذ وطئ الديار المصرية للمرة الاولى فقد جاءها جندياً مكدونياً في العمارة العثمانية التي رست في جون أبي قير سنة ١٢١٤ ﻫ بقيادة حسين قبطان باشا مع العمارة الانكليزية بامارة السير سدني سميث لاخراج الفرنساويين من مصر. وهو يوبيلٌ مئينيٌ يجدر بالديار المصرية ان تحتفل به احتفالاً يليق بمن غرس الاصلاح في ربوعها ونشر لواء العلم بين أهلها »

فنحمد الله ان دعوتنا استجيبت باحياء تذكار ولايته عرش الخديوية المصرية وهو تذكار يجدر بكل مصري ان يشترك فيه اقرارًا بفضل هذا الرجل العظيم على الديار المصرية سياسياً وأدبياً ومادياً . ولا يظهر مقدار هذا الفضل الا بمقابلة حالة مصر الآن بما كانت عليه قبل عهد الخديوية المصرية في زمن الامراء المماليك. ولذلك فقد رأينا ان نأتي على ذكر المماليك وحكومتهم ونصف حال مصر في ايامهم ونستطرد



امراء المماليك　　　اوطه باشي (ابوطبق)　　　جندي

ابو طبق سائر على حماره الى القلعة لتبليغ الباشا خبر عزله

ووراءه بعض امراء المماليك



الكلام الى ما ادخله محمد علي فيهامن الاصلاح على اختلاف عوامله .

﴿ منشأ المماليك ومبدأ أمرهم في السلطنة ﴾ لتاريخ المماليك في مصر دوران دور السلاطين ودور الامراء . والسلاطين دولتان دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الشراكسة . ومنشأ المماليك بوجه الاجمال من قفجاق بشمالي آسيا وكانت من المستعمرات الاسلامية فكانوا يجعلون عليها ولاة من امراء السلاف الذين كانوا من حكام روسيا . فلما غزا المغوليون تلك الاصقاع تحت قيادة باتوخان حفيد جنكيز خان اخرجوا منها سكان الولايات القزوينية والقوقاسية فتشتت قبائلهم وتفرقوا في القارة فالخوارزميون نزلوا أعالي سوريا وما بين النهرين وحطوا رحالهم هناك . اما ما بقي من تلك القبائل التائهة فلم يجدوا لهم مقرًّا يقيمون فيه فجعلوا يطوفون البلاد باولادهم ونسائهم لا يستقرون على حال . وكانت تجارة الرقيق في ابانها فاغتنم تجارها تلك الفرصة وجعلوا ينتقون من ابناء أولئك المساكين اجملهم صورة واقواهم بنيةً وأنورهم عقلاً ويبيعونهم بيع السلع أما الضعفاء وقبيحو الصورة فكانوا يذبحونهم فاكثر أمراء سوريا وملوكهم من اقتناء أولئك الارقاء البيض ودعوهم بالمماليك . فالملك الصالح احد سلاطين الدولة الايوبية (حكم بمصر من سنة ٦٣٧ هـ — ٦٤٧ هـ) كان قد ابتاع منهم نحو الالف حتى جعل منهم أمراء دولته وخاصة بطانته والمحيطين بدهليزه ودعاهم بالحلقة اشارة الى انه لا يبرح محاطًا بهم كيفما توجه كما فعل الخليفة المعتصم العباسي بالاستكثار من المماليك الاتراك

وكانت مماليك الملك الصالح صفوفًا يميز كل منها بعلامات خصوصية يجعلونها على ثيابهم او اسلحتهم مثل زهور الورد اواشكال الطيور وكانوا يتمنطقون بمناطق جميلة مختلفة الالوان . فتألف منهم جيش مخصوص تسبب عنه قلاقل في سائر المملكة المصرية وكان المماليك بالواقع ميالين الى الاستقلال بالحكم لا يمكنهم الرضوخ لسلطان من السلاطين باختيارهم لانهم كانوا كثيري العدد والعدد . وكانت أهم مصالح الدولة في ايديهم وامنع حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقرًّا لهم حتى اذا ضاقت ذرعًا عن الاحاطة بهم ابتنوا بامر الملك الصالح قصورًا عظيمة متقنة البناء منيعة

الجانب في جزيرة الروضة قرب القاهرة وقد زادها مركزها الطبيعي مناعةً وجمالاً لان النيل يتفرع هناك الى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر لعظم اتساعه فسمي هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية ومنها اسم دولتهم تمييزاً لها من دولة المماليك الشراكسة

وكانت سطوة المماليك البحرية تنتشر يوماً فيوماً الى انهم طمعوا بخلع السلطان وتولي الملك مكانه . فلما تولى الملك المعظم آخر سلاطين بني ايوب وكان مستبداً انفت نفوسهم من اعماله فسعوا به حتى قتلوه وقبضوا على ازمة الاحكام وعرفت دولتهم بدولة المماليك البحرية

حكمت هذه الدولة بمصر ١٣٢ سنة ونبغ منها ملوك عظام اعظمهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري (من سنة ٦٥٨ — ٦٧٦ هـ) وفي ايامه سطا التتر على بغداد وافتتحوها وقتلوا خليفتها ففر من بقي من العباسيين الى مصر فاكرم الظاهر وفادتهم وحفظ مقامهم في الخلافة من وجهها الديني فقط . وما زالوا يتوارثون الخلافة في القاهرة حتى فتحها السلطان سليم العثماني واستخلص الخلافة لنفسه . وكانت ايام الظاهر كثيرة الحروب فحارب الصليبيين والتتر والباطنيين وفتح مدناً كثيرة وأنشأ أبنية عظيمة في مصر وسوريا والحجاز .

ومن آثاره المشهورة بمصر الجامع المعروف باسمه في الظاهر وجعله الفرنساويون عند قدومهم القاهرة قلعة ولم يعد جامعاً من ذلك الحين . ومن آثاره أيضاً قناطر السباع في مصر القديمة جعل عليها سباعاً من الحجارة ومنها اسمها وكانت السباع شارة الملك الظاهر ينقشها على اعلامه ويضربها على نقوده كما ترى في رسم



نقود الملك الظاهر بيبرس

هذه النقود

ولغير الظاهر في هذه الدولة آثار مشهورة في القاهرة منها جامع السلطان قلاوون وجامع السلطان حسن وجامع الناصر واكثر آثار الابنية الاسلامية الضخمة في مدينة القاهرة من بقايا هذه الدولة والتي بعدها

ثم انتقلت ازمة الحكومة المصرية الى المماليك الشراكسة فتولوها ١٢٥ سنة ثم أخذها السلطان سليم العثماني من أيديهم سنة ٩٢٣ ﻫ وما زالت تحت رعاية العثمانيين الى الآن

﴿ الامراء المماليك ﴾ لما فتح السلطان سليم مصر واستلم ازمة احكامها فكر في مايضمن له بقاءها في حيازته مع بعدها عن الاستانة مركز السلطنة العثمانية وتغلب هيبة المماليك فيها · وبعد اعمال الفكرة اهتدى الى نوع من الحكومة لم يسبق له مثيل وذلك انه جعل في مصر ثلاث قوات كل منها عين على الاخر بين بحيث لايمكن اتحادها وتمردها : القوة الاولى « الباشا » وهو الوالي يحكم البلاد باسم السلطان واهم واجباته ابلاغ الاوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب ومراقبة تنفيذها

والقوة الثانية « الوجاقات » فانه اقام في القاهرة وفي المراكز الرئيسية من القطر ستة آلاف فارس وستة آلاف ماش بالبنادق جعلها ستة وجاقات « فرق » تحت قيادة خير الدين باشا احد قواد العثمانيين العظماء وامره ان يقيم في القلعة ولا يخرج منها لاي سبب كان وواجبات هذه الوجاقات حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه وجباية الخراج · وقد رتبها على الوجه الآتي

(١) وجاق المتفرقة · وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني

(٢) وجاق الجاويشية · وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان جيش السلطان سليم فعهد اليهم جباية الخراج

(٣) وجاق الهجانة

(٤) وجاق التفنجية · وهم ناقلو البنادق

(٥) وجاق الانكشارية · وهم اخلاط من نخبة القبائل الخاضعة للدولة العثمانية

وكانوا يعرفون ايضاً بالمستحفظين لاناطة محافظة البلاد بهم

(٦) وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفاً من افراد يقال لهم «وجاقلية» واحدهم «وجاقلي» على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا يصحبه الكخيا والباش اختيار والدفتردار والخزندار والروزنامجي . ومن مجتمع هؤلاء الضباط من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا . فلا يقضي الباشا أمراً الا بمصادقتهم . اما هم فلهم ان يوقفوه عن الاجراء وان يستأنفوا الى ديوان الاستانة عند الاقتضاء . ولهم ايضاً ان يطلبوا عزله حالما يشتبهون بمقاصده

اما القوة الثالثة فالمماليك . وهم بقايا الدولتين السالفتين والفائدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لانهم في الاصل اعداء لكلا الفريقين ومن غرضهم الانتصار للفريق الاضعف ليمنعوا القوي من الاستبداد . وقد كان القطر المصري منقسماً الى ١٦ «سنجقلية» (مديرية) يحكم كلاً منها حاكم يقال له «سنجق» او «بك» يعينه الديوان (وهو مجلس شورى الباشا) من امراء المماليك

ولما تولى السلطان سليمان بن السلطان سليم عدل في ترتيب والده من هذا القبيل للوصول الى الغاية المطلوبة وهي استبقاء مصر في حيازة الدولة العلية ومن جملة ذلك انه انشأ ديوانين عرفا بالديوان الكبير والديوان الصغير «او الديوان فقط» واناط رئاستهما بالباشا وهو يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر . وعلى الكخيا والدفتردار استئذانه قبل المفاوضة . ومتى اقر الديوان على امر ابلغاه ذلك القرار وليس له الا المصادقة والامر بالتنفيذ . وجعل اقامة هذا الباشا بالقلعة تحت ملاحظة آغا الانكشارية الذي هو قومندانها . ويجدد تعيين الباشا في كل سنة

اما واجبات الديوان الكبير فهي المفاوضة والاقرار على ما يتعلق بالاشغال العمومية التي لا تتعلق ادارتها بالباب العالي نفسه . اما اعضاء هذا الديوان فهم اغوات الوجاقات الستة ودفتردار يوها وروزنامجيوها كما تقدم . ونواب من جميع فرق الجيوش وامير الحج وقاضي القضاة واعيان المشايخ والاشراف والمفتون الاربعة والائمة الاربعة

والعلماء . اما المخاطبات التي ترد الى هذا الديوان فتعنون باسم الديوان الكبير لكنها تسلم للباشا وله وحده الحق ان يأمر بعقد جلساته ولكنها لم تكن كثيرة . اما جلسات الديوان الاصغر فكانت تنعقد يومياً في قصره واعضاء هذا الديوان هم كخياء الباشا ودفترداره وروزنامجيه ونائب من كل من الوجاقات والآغا وكبار ضباط وجاق المتفرقة . ومن واجبات هذا الديوان النظر في الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الادارات الثانوية

وانشأ السلطان سليمان فضلاً عن الستة الوجاقات التي كان قد انشأها ابوه وجاقاً سابعاً دعاه وجاق الشراكسة وهم بقية دولة المماليك . ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر وحاميتها . اما نفقاتهم فمن مخصصات يتولى ضبطها وتفريقها « افندي » من كل وجاق . وجعل لكل وجاق مجلساً مؤلفاً من ضباط ذلك الوجاق وبعض صف ضابطانه لمحاسبة الافندية والنظر في الدعاوي الخصوصية وعرض الترقيات للباشا للمصادقة عليها ولكل منهم لباس خاص برتبته وعليه علاماته . ومجموع رجال الوجاقات معاً عشرون الفاً وقد يزيد او ينقص حسب الاقتضاء . امامقرهم ففي القاهرة على انهم كثيرًا ما كانوا يخرجون منها لمهمات في المديريات . وكان لوجاق الانكشارية امتيازات على سائر الوجاقات وكان قائده (الآغا) مفضلاً على سائر القواد وله نفوذ عليهم

وجعل السلطان سليمان للبكوات المماليك الذين اقامهم السلطان سليم امتيازات خصوصية وحقاً بالارتقاء الى رتبة الباشوية . وأضاف اليهم ١٢ بيكاً آخرين لمأموريات فوق العادة . وهاك اسماء الموظفين الذين ينتخبون من البكوات المماليك وهم : الكخيا او نائب الباشا والقبابطين الثلاثة وهم قومندانات ثغور السويس ودمياط والاسكندرية ويسمى احدهم قبطان بك والدفتردار وامير الحج وامير الخزنة ومديريو المديريات (السناجق)

لا ريب ان تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها على تعداد الآمرين مما يقود الى القلاقل والمتاعب . واما الدولة فانها اجتنت راحة من هذا التعب لانها كانت

على ثقة من استبقاء الديار المصرية في حوزتها

وكانت احوال مصر تختلف راحة وشقاء باختلاف الباشوات حزماً وتعقلاً على ان الباشوات كانوا لقصر مدة ولايتهم لا يستطيعون عملاً ثابتاً . وزد على ذلك ان المماليك انفسهم انقسموا احزاباً يناظر بعضهم بعضاً على التمتع بالنفوذ في دوائر الحكومة ولكنهم كانوا في الحالين غالبين على ادارة الباشا وكانوا يستكثرون من اقتناء المماليك لتقوية الاحزاب وهم اقدر على تنفيذ اغراضهم من الباشوات لانهم اعلم منهم بحالة البلاد واثبت منهم قدماً في مصر

{ شيخ البلد } وكان في جملة ما يتولاه المماليك من الاعمال في ادارة البلاد محافظة القاهرة وكانوا يسمون محافظها في تلك الايام « شيخ البلد » وكان شيخ البلد اقوى سائر الامراء المماليك نفوذاً لقربه من مقر الباشا . واصبحت مشيخة البلد اكبر منصب تطمح اليه انظار المماليك يتناظرون ويتقاتلون عليه

وكان المماليك على اختلاف احزابهم يداً واحدة على مقاومة الباشا والوقوف في سبيله فاصبح منصبهُ بتوالي الاعوام اسماً بلا مسمى يديره المماليك كيف شاؤا حتى انحصر شغله في مخابرة الاستانة سرًّا بما كان يقع بين الامراء المماليك من الخلاف وما كان يتداعون اليه من الخصام . وأهم واجباته ان يستلم الجزية ويرسلها الى الاستانة (اذا تمكن من استلامها)

فأصبحت مصر ولاية ثقيلة على واليها وصاروا يعتبرونها منفى لمن يتولى باشويتها لان الباشا يعلم قبل خروجه من الاستانة انه اذا لم يكن راضياً بما يرضاه شيخ البلد لا يلبث أن يصله منه رسالة ينقلها اليه رجل يسمونه الاوطه باشي وفيها الامر بعزله أمرًا لا مرد له ولا مجال للمدافعة بعده . وكيفية ذلك ان شيخ البلد ورجاله اذا رأوا في تصرف الباشا ما يوجب الشك يجتمعون اجتماعاً عمومياً في الديوان ويقررون عزله ويكتبون بذلك أمرًا عاليًا يسلمونه الى الاوطه باشي ليوصله الى الباشا فيحمله ويسير على حمار (لان القانون لا يسمح له بركوب الخيل أو البغال) بين يديه فرمان العزل . فاذا مر في الاسواق على هذه الصورة علم الناس انه ساع الى أمر مهم فيه عزل

فيهرولون وراءه . ولا يزال سائرًا في عرض الطرق قائدًا تلك المواكب نحو القلعة . وكان من واجبات أي جندي صادفه في تلك الحال ان يرافقه اتقاء مما يخشى حدوثه عند وصوله الى القلعة . فاذا وصل القلعة يدخل على الباشا ثم يجثو امامه بكل وقار لكنه عند ماينهض يطوي السجادة التي كان جاثيًا عليها وينادي بأعلى صوته «انزل ياباشا» وعند طي السجادة والتلفظ بهذه العبارة تسقط كل حقوق ذلك الباشا ولا يعود له اقل سلطة على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تنتظر اشارته وتصير تحت اوامر الاوطه باشي . وكانوا يسمون الاوطه باشي «ابو طبق» لانه كان يلبس على رأسه قبعة مثل الطبق . والباشا يقف ممتثلاً يسمع تلاوة الفرمان سواء كان منطوقه بعزله اوبقتله فلا يسعه الا الطاعة التامة

وما زالت حالة مصر تزداد شقاء وبلاء من انقسام الادارات بعضها على بعض وانقسام كل ادارة على نفسها ولا غرض لكل فئة الا ابتزاز الاموال من أهالي البلاد . فأصبح الرجل لا يأمن على ماله ولا على أهله ولا على نفسه واستفحل الامر استفحالاً عظيماً — وقد شخصنا ذلك كله في روايتنا «استبداد المماليك»

﴿ بونابرت ﴾ فلما كان اواخر القرن الثامن عشر وقد ظهر بونابرت القائد العجيب وافتتح ممالك أوربا تاقت نفسه الى افتتاح مصر . ولم يكن الفرنساويون يرون رأيه في فتحها ولكنه اصر على عزمه فجرد عليها حملة بالبحر وفتحها سنة ١٧٩٨ عنوة فقاومه المماليك مقاومة شديدة ولكنه تغلب عليهم بنظام جنده واتقان اسلحته وآخر معركة قضي فيها على المماليك معركة امبابه بجوار الاهرام . ففر المماليك برجالهم واحزابهم الى الصعيد وسكن بعضهم النوبة واستلم الفرنساوية ازمة الحكومة في القاهرة وبذلوا كل ما في وسعهم لتقريب الاهالي منهم فلم يؤانسوا منهم الا النفور . ومما زاد نفورهم ان المماليك ما انفكوا يدسون الدسائس ويبذلون المساعي في معاكسة الفرنساوية . فلم يطل مقام الفرنساويين بمصر فاخرجتهم جنود الدولة العلية بمساعدة جنود انكلترا سنة ١٨٠١ لان بونابرت انما رغب في فتح مصر نكاية في انكلترا والوقوف في طريقها الى الهند فاصبح من أهم واجبات الانكليز مساعدة الدولة العلية



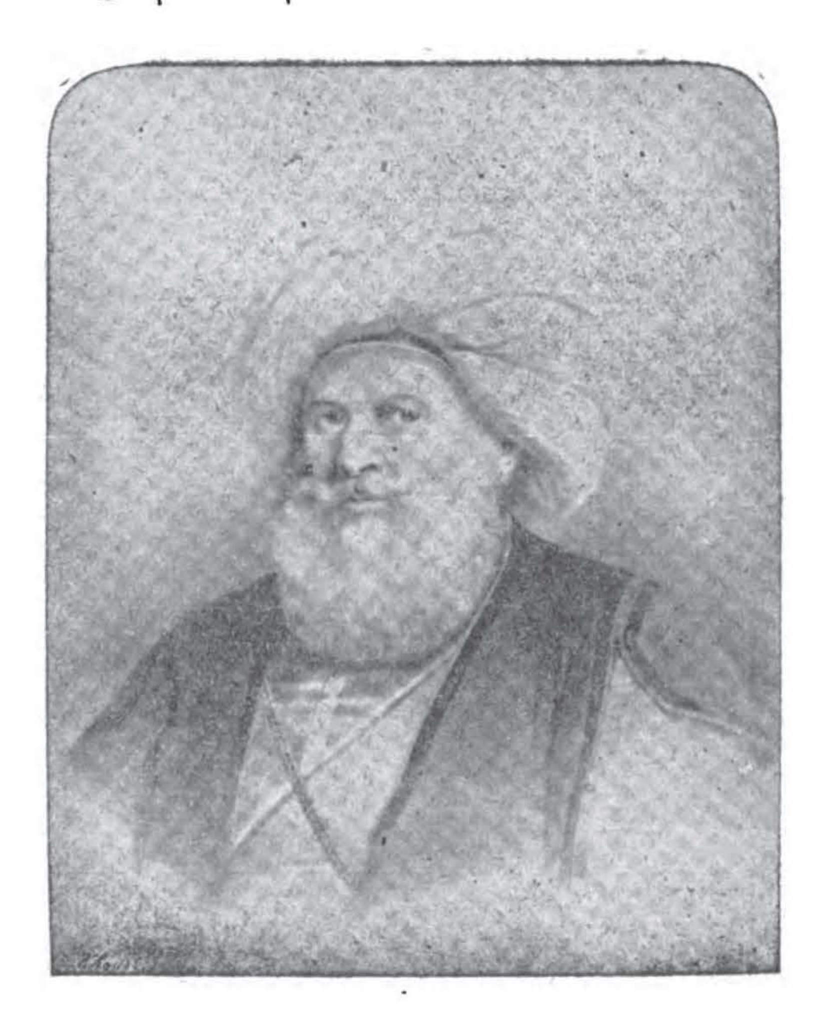
امين بك

(المملوك الشارد)

وهو المملوك الذي وثب بجواده من قلعة القاهرة

يوم مذبحة المماليك

على اخراجهم منها فاخرجوهم سنة ١٨٠١ واعادوا مصر الى كنف الدولة فعاد اليها الباشا والاحكام كما كانت من قبل الا المماليك فان الدولة رأت ان تتخلص منهم فأوعزت الى الباشا يومئذ ان يدبر مكيدة للنجاة منهم وكانوا هم على حذر



محمد علي باشا

﴿ محمد علي ﴾ وكان في جملة الجند العثماني الذين اخرجوا الفرنساويين من مصر رجل الباني اسمه محمد علي هو ارومة العائلة الخديوية. وكان يوم قدومه مصر معاونًا في بعض الكتائب العثمانية ثم صار بكباشي وما زال يرتقي حتى تولى قيادة الجند الالباني فيها وهو مؤلف من اربعة آلاف رجل أشداء كانوا له عونًا فيما بعد في ارتقاء منصة الحكم مما يطول شرحه وقد فصلناه في كتابنا تاريخ مصر الحديث وفي السنة الاولى من الهلال فنقتصر في ما يلي على ذكر الاعمال العظمى التي استحق محمد

علي من أجلها ان يعد من الرجال العظام والاصلاحات المهمة التي احيا بها مصر بعد مواتهـا

{ أعماله } تقسم حياة محمد علي في مصر الى اربعة ادوار الدور الاول من وصوله مصر الى ارتقائه منصة الاحكام من سنة ١٨٠١ — ١٨٠٥ والثاني من ولايته الى فتكه في المماليك وقتلهم سنة ١٨١١ وهو دور الاستعداد . والدور الثالث وهو دور الفتوح والرابع دور السكينة والاصلاح

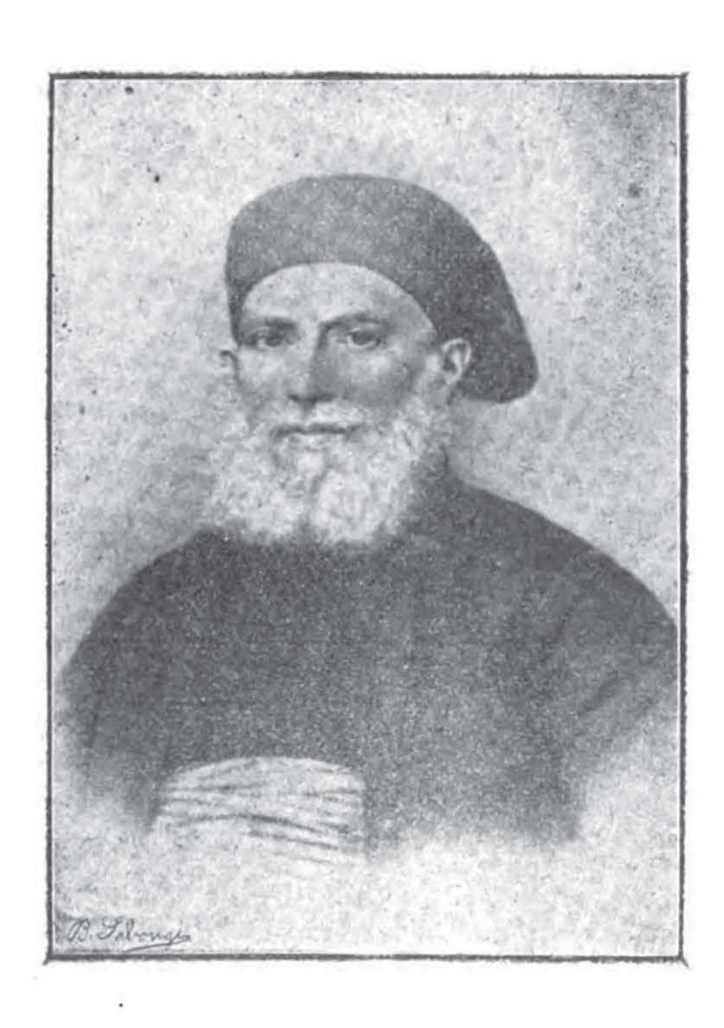
اما ارتقاؤه الى منصة الاحكام فقد اظهر فيه من الدهاء والسياسة والذكاء والاقدام ما يندر في الرجال فتغلب على الاحزاب المتضاربة واكثرها واقفة في سبيل غرضه فاستخدم بعضها على بعض وفاز فوزًا باهرًا وتولى ولاية مصر . ولكنه لم يرض بما رضي به الباشوات قبله فعوَّل على التخلص من زمرة المماليك وكان قد استعانهم في ارتقائه الى الحكم فلما ارتقى ورأوا ما رأوا من دهائه يئسوا من الاستقلال بالاحكام فكفوا عن مطامعهم واكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلمية فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا في انحاء القطر واركنوا الى السكينة

ففي سنة ١٨١١ كان زعيمهم أميرًا منهم اسمه شاهين بك وكان قد اذعن لمحمد علي فاقطعه ارضًا أوى اليها . فاتفق في اثناء ذلك ظهور طائفة الوهابيين في نجد على الدولة العلية وقيامهم باصلاح ديني اسلامي وقد انضمت اليهم القبائل وفتحوا معظم جزيرة العرب . فبعث الباب العالي الى محمد علي باشا يأمره بارسال حملة من جنده لاخضاعهم فجند حملة جعلها تحت قيادة ابنه طوسون . ولكنه فطن لامر المماليك وساء الظن في سكينتهم وخاف اذا خلت مصر من القوة العسكرية ان يقوم المماليك عليه ويفتكوا به . ففكر في الامر طويلاً ولا نظنه الا تردد مثل تردد بونابرت في أمر حامية يافا ثم عوَّل أخيرًا على مثل ما عول عليه بونابرت . وعزم على قتل المماليك والتخلص منهم فدعاهم الى القلعة بحجة وداع ابنه طوسون في خروجه الى محاربة الوهابيين فجاؤا وهم مطمئنون آمنون . وبعد تناول القهوة في ديوان الباشا في أعالي القلعة اصطفت الجنود في موكب للخروج من القلعة . ولكن ما لبث الموكب ان سار من قاعة الديوان حتى

أقفلت ابواب القلعة وعملت جنود محمد علي على الفتك بهم حتى قتلوهم عن آخرهم وكان عدد المدعوين يومئذ ٤٠٠ لم ينج منهم الا اثنان أحدهما كان غائباً والآخر اسمه أمين بك أتى الحفلة متأخرًا فرأى الموكب سائرًا نحو باب العزب من أبواب القلعة ففضل الانتظار خارجاً ريثما يخرج الموكب فيرافقه . فما لبث ان رأى الابواب أقفلت وسمع اطلاق البنادق فهمز جواده فوثب به عن تل بجانب الباب فانكسر الجواد وفر الراكب وعلى هذه الحادثة بنينا روايتنا «المملوك الشارد» على ان المتناقل على السنة الناس ان المملوك المشار اليه وثب بجواده من أعلى السور كما يظهر في الرسم الملحق بهذا الهلال. ولا نظن ذلك الامن قبيل المبالغة. وبمقتل المماليك انقضى الدور الثاني من ترجمة محمد علي

ولا ننكر ما في هذا العمل من الفظاعة مع مخالفته للعدالة والانسانية وخصوصاً بالنظر الى هذا العصر عصر الحرية الشخصية ولكن محمد علي جرى فيه على عادة رجال الفتح ومؤسسي الدول. فهم لا يصبرون على مايعترض مقاصدهم ولا يبالون اذا ارتكبوا في سبيل ازالته أكبر الجرايم . وهو داء قديم في جسم العمران طالما ارتكبه الرجال العظام. ولم يكن اهل العصور الاولى يعدونه امرًا كبيرًا لتعودهم امثاله—على ان هؤلا انما كانوا يرتكبون هذا المنكر لمجرد الرغبة في الاستقلال والاستبداد واما محمد علي فقد جنى بمقتل المماليك راحة ساعدته بعدئذ على اجراء الاصلاح . وزد على ذلك فأن مذبحة المماليك وما عقبها من السكينة نبهت المغفور له السلطان محمود الثاني على الفتك بالانكشارية في الاستانة وكانوا قد اقلقوا راحة الدولة ووقفوا في سبيل اصلاحها

واشتغل محمد علي بعد مقتل المماليك بحرب الوهابيين فارسل ابنه طوسون ثم ابراهيم فانتصرت الجنود المصرية انتصارًا عظيماً وأخمدت ثورة الوهابيين وأنقذت المملكة العثمانية من خطر شديد. فراق النصر لمحمد علي ولذّ له الفتح فبعث سنة ١٨٢١ حملة لفتح السودان بقيادة ابنه اسماعيل ففتحها ولكنه قتل هناك. ثم استنجدته الدولة لمحاربة اليونان في ثورتهم المشهورة فبعث ابنه ابرهيم في جند كثيف ولكن هذه الحرب لم تتوفق لاسباب لا تخفى على العارفين



ابراهيم باشا

ابن محمد علي وساعده الايمن في حروبه

وبعد حرب اليونان انفذ ابنه ابرهيم لفتح سوريا ففتحها سنة ١٨٣٢ وأنشأ فيها حكومة مصرية وأراد مواصلة الفتح في أسيا الصغرى فنهضت دول اوربا وأوقفته عن عزمه وتوسطوا بينه وبين الباب العالي فعقد وفاق كوتاهيا القاضي بوقوف الجنود المصرية عن الفتح على ان تكون سوريا قسماً من مملكة مصر وابراهيم باشا حاكماً عليها . فحكمها تسع سنوات ثم عاد الى توسيع دائرة مملكته فناصبه الباب العالي وتوسطت الدول . و بعد اخذ ورد وجدال انتهت المخابرات سنة ١٨٤١ بان تنحصر حكومة محمد علي في مصر والسودان وان تكون ولايته عليها ممتازة يتولى أمورها واحد من اعقابه يختاره جلالة السلطان و بذلك انقضى الدور الثالث . من تاريخ حياته السياسية

﴿ اصلاحاته ﴾ فلما فرغ من الاشتغال في الفتح تحول الى اتمام الاصلاحات التي كان قدشرع فيهامن اوائل ولايته وهي ماسميناه بالدور الرابع . والاصلاحات المشار اليها تبين فضله العظيم على هذا القطر بل على سائر المشرق لان النهضة التي أحدثها محمد علي في الديار المصرية كانت بدء نهضة عمومية في سائر المشرق وخصوصاً في العالم العربي واليك البيان

كان الفرنساويون بعد احتلالهم مصر قد أخذوا في ادخال عوامل التمدن الجديد فيها فجاؤوا مع حملتهم العسكرية بحملة علمية تنقب عن الآثار وتنظر في بث مبادئ العلم الطبيعي وغيره بين اصناف الرعايا . وكان في عزم بونابرت ان يفعل مثل ذلك في سوريا فلما لم يتوفق له فتحها واضطر لاسباب داخلية ان يعود الى بلاده ثم أخرج الفرنساويون من مصر لم يبق من مساعيهم في الاصلاح الا آثار قليلة . وكانت حروب بونابرت قدحركت العالم كله وتنبه الناس الى الاصلاح . فلما تولى محمد علي وهو لا يزال والياً بسيطاً مثل سائر ولاة الدولة شرع في اصلاح القطر واستعان باناس من اهل الدراية والعلم واكثرهم من الفرنساويين . فلما دعي الى محاربة الوهابيين جند اليهم ابنه طوسون ثم ابراهيم ثم سار هو بنفسه وانتصر انتصاره الباهر واشتغل بالفتوح اعواماً متوالية واعترضته الدول كما تقدم . فلما حصلت التسوية واستقر الامر على أن تكون ولاية مصر ارثية في اعقابه وان يكف عن الحروب عاد الى اتمام الاصلاح ولم يكن توقف عنه توقفاً تاماً حتى في ابان حروبه — فلنتكلم عن كل ما أدخله محمد علي من الاصلاحات على اختلاف وجهاتها فنقول

﴿ الاصلاح الاداري ﴾ اول شيء باشره من الاصلاح مسح الارض والانتفاع بزرعها وتوزيعها . وتفصيل ذلك ان البقاع المصرية كانت منقسمة من حيث ملكها الى قسمين احدهما البقاع التي كاد يكون لواضع اليد عليها الحق في ملكها ملكاً مطلقاً وكانت معفاة من الضرائب . والقسم الثاني البقاع التي لم يكن لزارعها الا حق التمتع بريعها وهي التي كانت عليها الضريبة الخراجية . اما نفس العقار في هذين القسمين فكان ملك بيت المال او الحكومة او السلطان

هذا كان شأن الديار المصرية قبل الفتح العثماني و بعده الى القرن السابع عشر حينما استأثر الامراء المماليك بالقوة والسلطة واختل النظام وصار الناس يهاجرون فأهملت الزراعة وقل ريع الارض فأصبحت الحكومة في عجز كلي عن استحصال المال فالتجأت الى تلزيم الخراج — وذلك ان الحكام كانوا يضمنون خراج النواحي والبلاد لاناس من أهل الوجاهة والغنى وكان ذلك الضمان او الالتزام يقرر اما بالمزايدة او بالاتفاق بين الملتزم من جهة والرزنامة بالنيابة عن الحكومة من جهة اخرى. حتى اذا تم الامر اعطت الرزنامة للملتزم تقسيطاً اي عقد تلزيم يصدق عليه شيخ البلد وهو كبير الامراء المماليك كما تقدم

فاذا دفع الملتزم الضريبة يعطى له حق التصرف في تحصيل المال الذي عجله وعلى فوائده التي كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد وكانت الحكومة تتعهد بمساعدته في التحصيل وتجعل له في مقابل ماينفقه ويكابده في ذلك التحصيل بقاعاً غير التي التزمها معفاة من كل ضريبة تعرف بالاواسي . اما الفلاحون فلم يكونوا يملكون ارضاً قط على ان الملتزمين انفسهم كانت تنزع منهم الالتزامات اذا تصدى لهم من كان اكثر صولة واشد بطشاً

ولا يخفى ماكان ينجم عن هذا التصرف من الاختلال وضياع الحقوق والاتعاب. فلما استقام الامر لمحمد علي باشا أمر بمسح كل بلاد مصر المزروعة ثم قسمها الى مديريات والمديريات الى مراكز او اقسام وهذه الى نواحي وعين فيها من يقوم بادارة أمورها وآخرين لجباية الضرائب وابطل الالتزامات جملة ووزع عقار كل ناحية بين اهالي تلك الناحية نفسها بحيث يصيب كل فلاح قادر على الشغل جانب من الارض بقدر جانب الآخر. فبلغ نصيب كل فلاح ثلاثة أفدنة و بعضهم اربعة او خمسة. وجعل لمشايخ البلاد جانباً من الارض اعفاه من الضريبة في مقابل نفقات ضيافة جباة الاموال الاميرية الذين كانوا يمرون في بلادهم وما كانت الحكومه تكلفهم به من المهام ودعا تلك العطايا مسموح المشائخ او مسموح المسطبة وهي تقابل الاواسي المتقدم ذكرها

ثم رأى رحمه الله ان الفلاح لا يستطيع من نفسه أمرًا كافلاً اخراجه مما هو فيه من الضيق الذي تراكم عليه بمرور الاجيال وكان محمد علي قد انتهى من اعماله الحربية ولم يعد ثم حاجة الى بقاء ضباط الجهادية منقطعين الى وظائفهم العسكرية مع بقاء رواتبهم جارية عليهم في حالة السلم وان ليس من التدبير والحكمة ان يتناولوا معيناتهم وهم عطل من الاعمال . ورأى من الجهة الثانية ان الفلاح يحتاج الى مرشد يهديه الى الطرق اللازمة لاستقامة أمره ووازع يدفعه الى النهوض بواجباته وعلم أيضاً ان المرء مهما كان صادقاً في خدمة الحكومة يشتغل لنفسه اكثر مما يشتغل لغيره فارتأى ان يعهد بأمر البلاد من حيث الزراعة الى اولئك الضباط ففوض اليهم تعميرها واصلاحها بأنفسهم ولم يحرم الفلاح مع ذلك من ثمرة اتعابه بل جعل لهذه الطريقة التي اعتمدها اصولاً وقوانين تقضي بأن لا تعطى الاطيان للمتعهد مادامت رائجة ومقتدرة على اداء ما عليها من الاموال في اوقاتها . أما الاطيان غير الرائجة فتحال الى عهدته باختيار اربابها وهو يتعهد باداء المال المطلوب للحكومة . وبهذه الواسطة نشطت الزراعة وتحسنت تحسناً عظيماً وما زالت تلك العقارات في ايدي المتعهدين الى أيام المغفور له عباس باشا وهو الذي استردها

ومن اصلاحاته الادارية انشاء الدواوين ومنها ديوان المعاونة وفائدته النظر فيما يعرض من الدواوين الاخرى والمديريات وسائر الجهات ثم الديوان الخديوي وكان يقوم بأشغال ديواني الداخلية والخارجية والضابطة ثم ديوان الاشغال وديوان المبيوعات وديوان الفرده . ثم انشأ بعد ذلك ديوان الخارجية خاصة وديوان العسكرية ثم الخزانة المالية وما يتعلق بها وديوان الاوقاف وديوان المعامل وديوان التفتيش والحقانية وديوان الترسخانة والابنية وديوان المدارس وجميع ذلك أو معظمه عهد بادارة اعماله الى مديرين ورؤساء من أبناء هذا القطر السعيد وكلها ترجع بأحكامها الى ديوان المعاونة المتقدم ذكره

ثم انشأ مجالس للقضاء مع مايقتضي لها من القوانين والاحكام . ورتب البريد يحمل على يد السعاه برًا وبالسفن بحرًا . وانشأ مايقوم مقام التلغراف الآن من

الاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة على خط واحد بين المدن الكبيرة بين البناء والآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة لا يزال بعضها قائماً اثرًا ناطقاً بهمة ذلك الرجل

وانشأ لتأييد السلم وتوطيد الامن فرقة الضابطة وفرقهم في انحاء البلاد فأمن الناس غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يقاسون اثناء تجولهم في القطر اهانات ومشاق جسيمة فأصبحت السبل في مأمن وتسهلت الصلات التجارية على الخصوص بين اوربا والهند على طريق البحر الاحمر فاستعاضوا بها عن طريق رأس الرجاء الصالح في أمور كثيرة

﴿ الاصلاح الزراعي ﴾ ولم تقف اصلاحاته عند هذا الحد ولكنه رأى خصب التربة المصرية وامكان استخدامها لكثير من المزروعات غير المعروفة بمصر فجاء اليها بالقطن البذار (التقاوي) الامركاني وجاء بنبات النيلة من جهات الهند وبنبات الافيون من اسيا الصغرى وجاء بغير ذلك من أنواع المغروسات المفيدة وجاء باناس عالمين بكيفية زراعتها واستغلالها . وأكثر من غرس الحدائق والاشجار في القاهرة وضواحيها تلطيفاً لحرارة الهواء واستزادة للغيث . ومن جملة ذلك مغارس الليمون في شبرا والحدائق في الروضة وحديقة الازبكية . فقد كان في مكان الازبكية قبل أيامه بركة كبيرة يتصل اليها الماء من النيل أيام فيضانه وكان الناس يأمونها في المواسم والاعياد في قوارب عليها الانوار وسائر الزخارف فاحتفر محمد علي حولها ترعة ينصرف اليها الماء فظهرت أرض البركة فجعل حول هذه الترعة صفوفاً من الاشجار تحيط ببقعة كلها غرس طيب . أما الحديقة التي نراها الآن فهي من آثار الخديوي الاسبق اسماعيل باشا

ومن آثاره الزراعية السدود التي انشأها في أبي قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرها وأنشأ كثيرًا من الجسور والترع ونظر في تطهيرها وأنشأ الترع الصيفية لانماء الزراعة الصيفية وابدل الخولي بالمهندسين في اعمال الري وبعث كثيرًا من ابناء البلاد الى اوربا لدرس فن الزراعة واتقانه ليخدموا بلادهم به

ومن مشروعاته الخطيرة من هذا القبيل القناطر الخيرية القائمة عند رأس

الذلتا . والسبب في بنائها انه رأى النيل لما يصل الى رأس الذلتا ينفصل الى فرعين هما فرعا رشيد ودمياط أو الفرعان الغربي والشرقي ورأى ان الغربي اكبرهما يمر في بقاع معظمها لا يصلح للزراعة فيذهب كثير من مائه هدرًا والشرقي يخترق بقاعًا واسعة الارجاء حسنة التربة فاذا كانت أيام التحاريق لا يبقى من مائه ما يكفي للري فاراد اتخاذ وسيلة ينتفع بها مما يزيد من ماء الفرع الغربي باضافته الى الشرقي . ورأى الصعيد في زمن التحاريق يشح فيه الماء لارتفاع ارضه وقد لا يرتوي جيدًا الا في زمن الفيضان فأقر على بناء قناطر على عرض الفرعين عند اول تفرعهما عند رأس الذلتا وان يجعل لهذه القناطر ابوابًا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء فاذا اقفل قناطر هذا الفرع انصرف جانب من الماء المنحدر اليه من الفرع الآخر فيستطيع صرف المياه كيف شاء واذا كان الفيضان قليلاً يقفل قناطر الفرعين جملة فيرتفع الماء في الصعيد فيروي أرضه ثم لا يصرف منه الا ما يلزم لري الوجه البحري فاذا كانت ايام التحاريق تفتح القناطر فتفيض المياه والارض في حاجة اليها . فباشر هذا العمل الخطير ولم يضع الحجر الاول منه الا سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) ولم ينثن عن عزمه حتى أتم بناءه بدراية لينان باشا المهندس الفرنساوي . غير ان ذلك المشروع لم يأت بالفائدة المطلوبة لا سيما بما يتعلق بارتفاع الماء في الصعيد ولكن الحكومة جعلت همها في السنين الاخيرة اصلاح ما هو فاسد منها وسد ما فيه من الخلل

﴿ الاصلاح العسكري ﴾ كانت القوة العسكرية في مصر لما تولاها محمد علي اخلاطًا من الالبانيين (الارناؤوط) والدلاة (المغاربة) والانكشارية ومن جرى مجراهم ونظامهم الحربي النظام القديم الذي كان متبعًا في الازمنة السالفة عند الدولة العلية قبل القرن الماضي فرأى رحمه الله ان يدربهم على النظام الفرنساوي الذي اتبعه بونابرت في غزواته واخذته عنه دول اوربا فحاول ذلك مرارًا فعظم على جنوده ولا سيما الارناؤوط وعصوا أوامره فيه لانهم اعتبروا ذلك بدعه وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما الح عليهم ثاروا وتجمهروا الى القلعة يطلبون الرفق بهم فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فأجابهم الى ما أرادوا وأخذ يدخل ذلك النظام

لاشارات بواسطة أبنية مرتفعة ممتدة على خط واحد بين المدن الكبيرة بين البناء
الآخر مسافة تكفي لفهم الاشارة لا يزال بعضها قائماً اثراً ناطقاً بهمة ذلك الرجل

وانشأ لتأييد السلم وتوطيد الامن فرقة الضابطة وفرقهم في انحاء البلاد فأمن
لناس غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يقاسون اثناء تجولهم في القطر
هانات ومشاق جسيمة فأصبحت السبل في مأمن وتسهلت الصلات التجارية على الخصوص
بين اوربا والهند على طريق البحر الاحمر فاستعاضوا بها عن طريق رأس الرجاء
لصالح في أمور كثيرة

﴿ الاصلاح الزراعي ﴾ ولم تقف اصلاحاته عند هذا الحد ولكنه رأى خصب
لتربة المصرية وامكان استخدامها لكثير من المزروعات غير المعروفة بمصر فجاء
ليها بالقطن البذار (التقاوي) الامركاني وجاء بنبات النيلة من جهات الهند وبنبات
لافيون من اسيا الصغرى وجاء بغير ذلك من أنواع المغروسات المفيدة وجاء باناس
عالمين بكيفية زراعتها واستغلالها . وأكثر من غرس الحدائق والاشجار في القاهرة
وضواحيها تلطيفاً لحرارة الهواء واستزادة للغيث . ومن جملة ذلك مغارس الليمون في
شبرا والحدائق في الروضة وحديقة الازبكية . فقد كان في مكان الازبكية قبل أيامه بركة
كبيرة يتصل اليها الماء من النيل أيام فيضانه وكان الناس يأمونها في المواسم والاعياد
في قوارب عليها الانوار وسائر الزخارف فاحتفر محمد علي حولها ترعة ينصرف اليها
الماء فظهرت أرض البركة فجعل حول هذه الترعة صفوفاً من الاشجار تحيط ببقعة
كلها غرس طيب . أما الحديقة التي نراها الآن فهي من آثار الخديوي الاسبق
اسماعيل باشا

ومن آثاره الزراعية السدود التي انشأها في أبي قير وترعة الفرعونية واشتوم الديبة
واشتوم الجميل وغيرها وأنشأ كثيراً من الجسور والترع ونظر في تطهيرها وأنشأ
الترع الصيفية لانماء الزراعة الصيفية وابدل الخولي بالمهندسين في اعمال الري وبعث
كثيراً من ابناء البلاد الى اوربا لدرس فن الزراعة واتقانه ليخدموا بلادهم به

ومن مشروعاته الخطيرة من هذا القبيل القناطر الخيرية القائمة عند رأس

الذلتا . والسبب في بنائها انه رأى النيل لما يصل الى رأس الذلتا ينفصل الى فرعين هما فرعا رشيد ودمياط أو الفرعان الغربي والشرقي ورأى ان الغربي اكبرهما يمر في بقاع معظمها لا يصلح للزراعة فيذهب كثير من مائه هدرًا والشرقي يخترق بقاعًا واسعة الارجاء حسنة التربة فاذا كانت أيام التحاريق لا يبقى من مائه ما يكفي للري فاراد اتخاذ وسيلة ينتفع بها مما يزيد من ماء الفرع الغربي باضافته الى الشرقي . ورأى الصعيد في زمن التحاريق يشح فيه الماء لارتفاع ارضه وقد لا يرتوي جيدًا الا في زمن الفيضان فأقر على بناء قناطر على عرض الفرعين عند اول تفرعهما عند رأس الذلتا وان يجعل لهذه القناطر ابوابًا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء فاذا اقفل قناطر هذا الفرع انصرف جانب من الماء المنحدر اليه من الفرع الآخر فيستطيع صرف المياه كيف شاء واذا كان الفيضان قليلاً يقفل قناطر الفرعين جملة فيرتفع الماء في الصعيد فيروي أرضه ثم لا يصرف منه الا ما يلزم لري الوجه البحري فاذا كانت ايام التحاريق تفتح القناطر فتفيض المياه والارض في حاجة اليها . فباشر هذا العمل الخطير ولم يضع الحجر الاول منه الا سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) ولم ينثن عن عزمه حتى أتم بناءه بدراية لينان باشا المهندس الفرنساوي . غير ان ذلك المشروع لم يأت بالفائدة المطلوبة لا سيما بما يتعلق بارتفاع الماء في الصعيد ولكن الحكومة جعلت همها في السنين الاخيرة اصلاح ما هو فاسد منها وسد ما فيه من الخلل

{ الاصلاح العسكري } كانت القوة العسكرية في مصر لما تولاها محمد علي اخلاطًا من الالبانيين (الارناؤوط) والدلاة (المغاربة) والانكشارية ومن جرى مجراهم ونظامهم الحربي النظام القديم الذي كان متبعًا في الازمنة السالفة عند الدولة العلية قبل القرن الماضي فرأى رحمه الله ان يدربهم على النظام الفرنساوي الذي اتبعه بونابرت في غزواته واخذته عنه دول اوربا فحاول ذلك مرارًا فعظم على جنوده ولا سيما الارناؤوط وعصوا أوامره فيه لانهم اعتبروا ذلك بدعه وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما الح عليهم ثاروا وتجمهروا الى القلعة يطلبون الرفق بهم فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فأجابهم الى ما أرادوا وأخذ يدخل ذلك النظام

أولاً بين الجنود الوطنيين لانهم أقرب الى الطاعة من الالبانيين ومن شا كلهم فأسس مدرسة حربية في الخانكاه قرب المطرية تعلم فيها اللغات والحركات العسكرية وجعل سراي مراد بك في الجيزة مدرسة للفرسان وأقام فيها أساتذة من الافرنج وأنشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع واصطناع سائر حاجيات الجند . والفضل في تدبير الجند على النظام الجديد راجع لقائد من قواد الفرنساويين اسمه الجنرال « سيف » ولكنه أسلم ودعى نفسه سليمان باشا وقد خدم الحكومة المصرية خدمات صادقة في حروبها ببر الشام وغيرها وهو المعروف بسليمان باشا الفرنساوي



سليمان باشا الفرنساوي

وبنى محمد علي في الاسكندرية ترسانة أتى اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا والبندقية وأقام فيها مدرسة جاء اليها بالاساتذة من فرنسا وانكلترا وبنى حول الاسكندرية حصناً منيعاً وحصوناً أخرى في أماكن أخرى

﴿ الاصلاح التجاري ﴾ ولما أصلح الزراعة وكثرت حاصلات البلاد وجه التفاته الى تنشيط التجارة فأراد انشاء مينا أميناً تأوي اليه السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط لخشونة مرساها فاختار الاسكندرية فاحتفر ترعتها الموصلة بينها وبين النيل ودعاها ترعة المحمودية نسبة الى السلطان محمود الثاني فكثر نقل البضائع فيها بين الاسكندرية وداخل القطر فاكتسبت الاسكندرية بذلك أهمية كبرى وتقاطر اليها التجار من أماكن مختلفة من اوروبا وغيرها واقيمت فيها البنايات الكبيرة على النمط الافرنجي وأنشئت فيها الفنادق والنزل للغرباء . واصلح مرفأ بولاق وغيره ووسع للاجانب في الاستيطان والاتجار فاتسعت التجارة وكثرت العلائق وعاد كل ذلك بالنفع الجزيل . وتوطيداً لاعماله هذه أنشأ مجلساً تجارياً مؤلفاً من الوطنيين والاجانب للحكم في القضايا التجارية

﴿ الاصلاحات الصناعية ﴾ أما الاصلاحات الصناعية فكثيرة ولكن لم يبق منها الى الآن الا آثار بالية مع ماتوخاه رحمه الله من انشاء المعامل واستجلاب الصناع من اقطار اوروبا فانه أنشأ في هذا القطر معامل عديدة لمعالجة القطن والنيلة واصطناع الطرابيش التونسية والورق والغزل وانواع الاقمشة من الحرير والكتان والقطن والصوف في سائر جهات القطر ومعامل الاسلحة على أنواعها وغيرها أما سبب هبوط معظم تلك المعامل فعائد الى عدم وجود معادن الفحم الحجري في القطر المصري

﴿ الاصلاحات الصحية ﴾ رأى ذلك الرجل العظيم ان البلاد في احتياج كلي لهذه الاصلاحات لانتشار التدجيل والتطبيب بالكتابة والحجابة وما شاكل فاستقدم أحد مشاهير الاطباء الفرنساويين واسمه الدكتور كلوت (ثم صار كلوت بك واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة) فأنشأ المدارس الطبية والمستشفيات وفي مقدمتها المدرسة الطبية في القصر العيني (وكان هذا القصر قبلاً مسكناً لابراهيم بك الكبير من أمراء المماليك) يدرس فيها الطب والجراحة ومدرسة أخرى في فن القوابل ومستشفى كبيراً في أبي زعبل (قرب المطرية) وأنشأ مجلساً صحياً ومدرسة بيطرية ورتب مستشفيات واطباء للعساكر وأخرى للاهالي وعين أطباء لمراقبة الاحوال الصحية في المديريات



كلوت بك

ساعد محمد علي في الاصلاحات الصحية

{ الاصلاحات العلمية } اما الاصلاحات العلمية فلا تقل أهمية عما تقدم لانه الف مجلساً للمعارف العمومية قصد به تعليم خدمة الحكومة الملكيين والجهاديين ما يؤهلهم للقيام بمهام اعمالهم وأنشأ مدارس كثيرة لتعليم الشبان من أهل البلاد وبعث بعضاً منهم الى أوروبا لاتقان الدروس على مثال الارساليات العلمية في هذه الايام . وأنشأ المطبعة الاهلية في بولاق وأمر بترجمة كثير من الكتب المفيدة وأنشأ

الجريدة المصرية الرسمية وديوان المهندسخانة. واهم اعماله من هذا القبيل انه نشط اللغة العربية فأمر بطبع الكتب العربية القديمة ونشرها وترجمة العلوم الحديثة الى العربية وطبعها. وهو أول من شرع في ذلك بالشرق وخصوصاً في كتب الطب وسائر العلوم الطبيعية فعل ذلك كله وسوريا لا تزال تتلمس في طلب العلوم الحديثة. فكانت الكتب العربية المصرية دليلاً للسوريين في اقتباس انوار العلم. ولما انشأ الاميركان مدرستهم الطبية في بيروت كانت كتب الطب المصرية خير مساعد لهم على انتقاء الاصطلاحات الطبية في اللغة العربية. ناهيك بما أحدثه ذلك كله من النهضة العربية التي نتمتع نحن الآن بثمارها

﴿ مناقبه وأخلاقه ﴾ كان محمد علي متوسط القامة عالي الجبهة اصلعها بارز القوس الحاجبي اسود العينين غايرهما صغير الفم باسمه كبير الانف متناسب الملامح مع هيبة ووداعة. أبيض اللحية كثيفها مع استدارة وسعة. جميل اليدين منتصب القامة جميل الهيئة ثابت الخطوات منتظمها سريع الحركة. اذا مشي جعل يديه متصالبتين وراء ظهره غالباً وعلى الخصوص اذا مشى في داره مفكراً في أمر (وكذلك كان يفعل بونابرت). وقلما يتفاخر باللباس فكان لباسه غالباً على زي المماليك وعلى رأسه الطربوش الجهادي ثم أبدله بالعمامة فزادته هيبة ووقاراً وأبدل اللباس العسكري بلباس واسع بسيط لا يمتاز به عن بعض اتباعه

وكان يكره التفاخر بالحاشية فلم يكن على بابه الا رجل واحد يخفره. واذا استوى في مجلسه لا يتقلد السلاح انما يجلس وفي يده حقة السعوط والمسبحة يتلاهى بها وكان يحب العاب البيليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط. وأما جلساؤه العاديون فالقناصل وكبار السياح وكانوا يحبونه ويعتبرونه جداً ويلقبونه احياناً بمبيد المماليك أو مصلح الديار المصرية. وكان في اواخر أيامه سريع التأثر لا يعرف الكظم فكثيراً ما كان ينقاد بدسائس المفسدين. أما في أوائلها فلا نظنه الا كان كظوماً كتوماً صبوراً. ولولا ذلك لم يبلغ ما بلغ اليه ولا استطاع التغلب على مناظريه لان سرعة الغضب عثرة في سبيل الاعمال العظمى ولله در عنترة العبسي القائل

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وهو قول حكمة لم يأت احكم الحكماء باحسن منه . وكان كريم النفس سخي العطاء وفي بعض الاحوال مسرفاً . وكان يتفاخر بعصاميته ويرتاح للتكلم عن سابق حياته . وكان محباً للاطلاع ولا سيما على الاخبار السياسية يعتبر الجرائد وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية فكانوا يترجمونها له فيطالعها بتمعن

أما هواجسه السياسية فكانت تقلق راحته فلا ينام الا يسيرًا وقلما يرتاح في نومه ولا ينفك متقلباً من جانب الى آخر فكان يجعل عند فراشه اثنين من خدمته يتناوبان اليقظة لتغطيته اذا انكشف عنه الغطاء من التقلب . ويقال ان من جملة دواعي ارقه الشهقة المرتجفة التي كانت تتردد اليه كثيرًا وكان قد اصيب بها في حملته على الوهابيين على أثر رعب شديد . على ان ذلك الارق لم يكن ليضعف شيئاً من سرعة حركته فكان يستيقظ نحو الساعة الرابعة من الصباح ويقضي نهاره في المشاغل المختلفة بين مفاوضة مع ذوي شوراه أو مراقبة استعراض العساكر او استطلاع أمور أخرى تتعلق بمصالح الامة . وكان بارعاً في الحساب بغير تعلم لانه تعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والاربعين من عمره . ويقال انه ابتدأ بتعلم احرف الهجاء على احد خدمة حريمه والكتابة على احد المشائخ . وذلك مما يزيده شرفاً وفخرًا ويبرهن على ما فطر عليه من قوة الادراك والحذاقة والمقدرة على المهام والسياسة . وكان صارم المعامله مع لين ورقة وحسن اسلوب وكان متمسكاً بالاسلام مع احترام التعاليم الاخرى ولا سيما التعاليم المسيحية فكان يقرب اصحابها منه ويعهد اليهم اهم اعماله

ويقال بالاجمال انه كان لرعيته ابًا حنونًا وصديقًا مخلصًا ولذوي قرباه نصيرًا مسعفًا ولاولاده ابًا حقيقياً ولذلك تراه بعد ان اصيب بفقد بعضهم غلب عليه الحزن حتى اثر في صحته تأثيرًا رافقه الى اللحد . اما حبه للرعيه فلا يحتاج الى دليل فهذه الديار المصرية عمومًا اذا قصرت السنة اهلها عن تعداد فضائله ينطق جمادها بمزيد فضله . هذه الجسور والترع والابنية والشوارع والجنائن هذه المطابع والمدارس هذه

النظامات الجهادية والملكية والقضائية هذه الزراعة والفلاحة هذه شبه جزيرة العرب تردد ما لاقته من نجدته . وقد كان محترماً ليس فقط من رعيته او ذويه بل من الاجانب البعيدين منه وطناً وديناً ومشرباً . وكثيراً ما تقربوا اليه بالنياشين والهدايا اقراراً بفضله على العالم عموماً بتمهيد سبل التجارة بين اوروبا والهند على الخصوص

ونختم قولنا في هذا الرجل العظيم بقصيدة نظمها احمد بك شوقي الشاعر الشهير سماها آيه محمد علي وهي :

علمٌ أنت في المشارق مفرد — لك في العالمين ذكرٌ مخلدْ
حبذا دولة وملك كبيرٌ — أنت باني ركنيهما يا محمدْ
والماء في البر والبحر يعطي — مظهر الشمس في الوجود وازيد
تدخل الارض فيه قطراً فقطراً — تدخل الناس في شريعة احمد
تملأ الارض صافنات وتجري — لك في البحر كل برج مشيد
هكذا فلينل سماء المعالي — من سعى في الورى لمجد وسؤدد
همة تبتني الممالك شما — ء ورأي يسوسهن مسدَّد
وثبات في الحادثات وعزمٌ — مثل ريب الزمان لا يتردد
نضع السيف موضعاً برتضيه — ومن البأس ما يذم ويحمد
ونصون النوال عن حسن صنع — لك ينسى ونعمة لك تجحد
لا تبالي بحاسد وعدوٍ — آية الفضل ان تعادي وتحسد
همة الفاتحين حكم وقهر — ولك الهمة التي هي ابعد
ليس من يفتح البلاد لتشقى — مثل من يفتح البلاد لتسعد
علمت مصر والحجاز وارض الـ — نوب والشام ان عهدك عسجد
أنت ان احصي النوابغ في المـ — لك كريم الثنا على الدهر اوحد
أيدتهم قرابةٌ وقبيلٌ — وأرى الله وحده لك أيد
فتولاك والليالي حبالى — وتولاك والحوادث تولد
ورمى عنك والملوك رماة — نصفهم واجدون والنصف حسد
ركن مصر أقمته بعد ميل — امة جمعت وامر توحد
يا مديم الرقاد في خير مرقد — قم فما حل قبلك الارض فرقد

وانظر الشرق كيف اصبح يهوي وانظر الغرب كيف اصبح يصعد
وتأمل ممالكًا وبلادًا لمس الدهر عقدها ينهدد
كنت تحميه والسيوف عوار من له اليوم بالحسام المجرَّد
ينشر النور والحضارة فيه كلما زوَّد الشعوب تزود
وترى الامر بين قلبٍ ذكيٍّ في يديه وبين جفن ممهد
يا عصام الملوك هل كنت تملو عن عروش الملوك ام كنت تزهد
صغر الجاهلون بالنفس مسعا ك وعذر النفوس فيه ممهد
ما سمعنا بفاتحٍ سلَّ سيفًا يأخذ الملك حده ثم اغمد
حالة سامها (الامين) اخوه وامورٌ بها (امية) يشهد
ثبتت في فتنة الحجاز اليهم حين اخمدتها ولم تك تخمد
واتاهم بعذره لك بيت كلما جندوا الى الحرب جند
يحفظ الملك مالك مصر عليهم جوهر فوق تاجهم يتوقد
زعموا الشرق من فعالك قلنا واري الشرق في يمينك اقعد
جئته بالحياة والنور والتمـ دين والرأي والقنا والمهند
كان بين الورى بركن فعزز ت بثان والركن بالركن يشتد
شرفًا من الزمان آل علي جدكم سيد الملوك المسود
ارجعوا في العلى اليه وروموا نهجه نهجة الذي كان افصد
لبسوه كما كساكم فخارا كلما رثت الثياب تجدد.
واملأوا مسمع الزمان حديثًا كدوي الخضمِّ أرغى وازبد
انما الناس امة لا يموتو ن واخرى تمرُّ مرًّا وتنفد
واري جدكم على الدهر حيًا خالد الذكر والثناء المردَّد
كلما مرَّ من مساعيه قرن مرَّ يزهو بعقدهن المنضد
مشرقًا من ثنائه مستضيئًا من بنيه بكل ابلج اصعد
يتحداه في فخار ويسرى في منار على طريق معبد
يا كريم الجدود عش لبلاد عيشها في ذرى جدودك أرغد
ذاقت الامن في ظلال عليٍّ حين لا أمن في المشارق يورد
ائة احصيت على حكمة فيـ ها وآثاره بها لا تعدد

فلهُ معهد على كل ارض ولهُ آية على كل معهد
ولنا في علاك منهُ بديل علم انت في المشارق مفرد

لا غرو اذا استغرق كلامنا عن محمد علي اكثر صفحات هذا الهلال حتى ضاق عن اكثر المواد الاخرى فان مجلاتنا وجرائدنا وسائر اسباب تمدننا ليست الاَّ بعض نتاج غرسهِ وقد نمت واثمرت في ظل خلفائهِ فروع تلك الارومة المباركة حتى بلغت الى اينعها في عهد اميرنا المعظم ايدهُ الله وابقاه

اللغة الارامية

للعلامة القس جبرائيل قرداحي

النائب البطريركي ومدرس العربية والسريانية في المدرسة المارونية في رومية

« نقلاً عن كتاب لهُ تحت الطبع في لسان السريان »

اللغة الآرامية احدى اللغات التي يقال لها « اللغات السامية » وهي العربية والعبرانية والفينيقية والاسورية . وكان اهلها شعباً كبيرًا منتشرًا في البلاد التي تسمى في التوراة « ارام » ولعل اليهود سموها بهِ اشارة الى كون اهلها من نسل ارام بن سام بن نوح . ولما تولت اليونان على هذه البلاد كلها بعد موت الاسكندر . وهم المعروفة دولتهم « بالدولة السلوقية » اطلقوا عليها كلها اسم « آسوريا » وقد اخذوه من « آسور » وهو اسم مملكة نينوى ومنشئها ثم اختصروه « سوريا » ودليلهُ ان قدماء اليونان والرومان كانوا يخلطون بين الاسمين وبين اسمي « سريان وآسوريان » . الا ان الاراميين ما فتئوا يسمون بلادهم « آرام » وينتسبون اليها حتى دانوا بالديانة المسيحية فارادوا لبلادهم اسم « سوريا » دون اسمي « ارام واسوريا » فانتسبوا اليهِ حتى تغلب عليهم اسم « السريان » وعلى لغتهم اسم « السريانية » ولعلهم ارادوه حرمة للحوار بين والاباء الاولين الذين تبعوا اليونان في تسمية البلاد « بسورية » وتسمية اهلها بالسوريين او السريانيين او كراهة لاسمي « آراميين وآسوريين » وقد صارا عندهم بعد تنصرهم بمعنى « عبدة الاوثان او الاصنام » . وكاني بهم حذروا من الخلط بين اسمي « سوريا وآسوريا » . فمع نسبتهم الى « آسوريا » صحفوا « سين » هذا « ثاء »

فقالوا « آثوريا واثوري » وما كان احسنهم لو حافظوا على نسبتهم الى « اسوريا » دون « سوريا » فوقوا انفسهم من اشتباه الاصل والنسب وعرف العالم انهم كانوا اهل مملكة كبيرة ودولة عزيزة خرج منها الفاتحون المظام كسنحريب وبختنصر واسرحدون · وكاني بهم يقولون لي قول الاخطل : انه الدبن انه الدبن · فاسكت مع الساكتين

وقد تغلبت اللغة الارامية على سائر اخواتها غير العربية من القرن السادس قبل الميلاد الى القرن الثامن بعده · فاخذت العربية تتغلب عليها ولا سيما في المدن حيث تكاثرت العرب بعد الفتح الاسلامي حتى اصبحت العامة من السريان في القرن العاشر وهم اعرف بالعربية منهم بالارامية · قلت ولعله السبب في ان ايليا النصيبي من اهل القرن العاشر جعل شرح كتابه في النحو السرياني بالعربيـة لا بالسريانية · وربما استمرت الارامية لغة العامة في قرى شمالي لبنان البعيدة عن المدن الى القرن السابع عشر على ما اشار اليه جورجيس من كرم سده في آخر معجمه السرياني المسمى « بكتاب المنارة » قال « اننا جمعناه من كتب توراة العتيقة والحديثة حتى وايضاً من لغات الحصارنة » قلت ولم يزل الى زماننا فروع آرامية مستعملة في بعض القرى بناحية من دمشق تسمى « معلولا » وفي جبال طور عبدين من الجزيرة · وفي الشق الشرقي من نينوى · وفي الجبال الغربية من كردستان · وفي الشق الغربي من بحيرة ارمية حيث النصارى واليهود ما زالوا يتكلمون بلغة ارامية · وهذه قد جعل لها المرسلون الامريكان قواعد نحوية حتى صارت كانها لغة كتابية · وقد طبعوا بها بعض الكتب وانشأوا بها جريدة

وتفرع من الارامية بعد الميلاد ايضاً ثلاث لغات : السريانية والنبطية والفلسطينية الا ان الاباء السريان كافرام وبالاي وفرهاد وغيرهم من اهل القرن الثالث والرابع فضلوا السريانية اما لانها لغة وطنهم واما لانهم وجدوها اقرب الى الاصل الارامي وافصح فكتبوا بها كتبهم واقاموا الطقوس البيعية وترجموا اليها كتب اليهود وغيرها من كتب اليونان · فكان ذلك اكبر البواعث للاجماع على استعمالها في بلاد الشام وفينيقية وفلسطين وقبرس وفارس والهند الشرقي الى زماننا هذا · وقد وقع فيها بين سريان المشرق وسريان المغرب بعض الاختلاف ما لم يفض بنفسها الى لغتين مستقلتين · وهو الحركة التي يقال لها « ܙܩܦܐ » فانها عند الاولين « الفتحة » وعند الاخرين « ضمة منفرجة » · وكان السريان يتناقلون اللغة تناقلاً الى اوائل القرن السابع للميلاد · فرأى علماؤهم انها صائرة الى الفساد بمخالطتهم للفرس والروم وغيرهم من الامم · فهب احد

السيد يعقوب التكريتي فوضع لها من القواعد والروابط ما ظنهُ كافيًا لصيانتها من الفساد · وسمى كتابهُ في هذه الصناعة بما يسميهِ بهِ اليونان « ܓܪܡܛܝܩܐ » ثم جاء بعدهُ جماعة من العلماء فنحوا نحوهُ وزادوا عليهِ كالامام يعقوب الرهاوي وايليا النصيبي ويوحنا بن زغبي وابي الفرج بن العبري · ولقد فاق ابو الفرج جميعهم في كتابهِ المسمى « ܟܬܒܐ ܕܨܡܚܐ » وعنهُ اخذ واياه اعتمد كل من جاء بعدهُ من نحاة الطوائف الثلاث

ولقد بالغ بعض علماء السريان وغيرهم في قدم اللغة الارامية حتى زعموا انها لغة آدم · واما اهل التحقيق فلا يسلمون باكثر من انها لغة ابراهيم جد العبرانيين · وان لغة العبرانيين بقيت سالمة من التغيير حتى خالطوا المصريين ثم الكنعانيين او الفينيقيين · فطرأ عليها تغييرات شتى بما داخلها من لغات القومين حتى صارت لغة اخرى يظهر انها متولدة من ثلاث لغات خاصة الارامية والفينيقية او المصرية · الا انها انحى الى الارامية فالفينيقية منها الى المصرية · وهي اللغة التي دون بها الكاهن عزرا كتب اليهود المعروفة كالتوراة في نحو القرن الخامس قبل الميلاد · وسميت « عبرانية » اما من عبور بني اسرائيل نهر الاردن او البحر الاحمر · او من عبور جدهم ابراهيم نهري دجلة والفرات عند هجرتهِ الى ارض الكنعانيين · واستمرت لغة اليهود الى ان اجلاهم الملك بختنصر الى بابل · فاخذت لغة الكلدانيين تتغلب على عبرانيتهم حتى اصبحوا بعد مرور خمسين سنة عليهم ببابل وهم لا يعرفون غيرها · وكانت فرعًا من الارامية · وظلت لغة اليهود بعد تراجعهم من بابل · قلت وهي اللغة التي كانت بها بشارة السيد المسيح والحوار بين في اورشليم · وما زالت هي لغة فلسطين حتى تغلبت عليها اللغة العربية

واما الاقلام التي كتب بها الاراميون قبل الميلاد فلم يعرف منها الى هذه الغاية الا قلم واحد وهو المسمى « بالقلم الارامي او الفينيقي » واليهِ يرجع اصل كل الاقلام المستعملة عند الامم المتمدنة · وذهبوا في مخترعهِ مذاهب · فقال جماعة انهُ اختراع الاراميين وغيرهم انهُ اختراع الفينيقيين — قلت واي الشعبين اخترعهُ فلا فضل لهُ في اختراعهِ دون الشعب الآخر · وقد امتزج الشعبان في كل شيء الدم والوطن واللسان والصنائع والعوائد والاديان امتزاجًا لا يمكن معهُ الا ان يعتبرا شعبًا واحدًا · وعلة اختراعهم لهُ طلب السرعة في الكتابة ما لم يكن اليهِ من سبيل لا بالقلم التمثالي ولا بالقلم المسماري · وهما قلما نقش يحتاج الى وقت طويل فيهما

واستمر الاراميون يكتبون بهذا القلم الى القرن الخامس قبل الميلاد · ثم اخذ في التغير حتى تولد منهُ في نحو القرن الثاني للميلاد عدة اقلام · الرهاوي والفلسطيني والتدمري · وكان القلم الرهاوي اجمل واكمل صنعة وهو المعروف بالقلم « الاسطرنجيلي » ولعلهم سموهُ بهِ من ان اول ما كتب بهِ الانجيل الشريف · ثم اخذ في التغير حتى تولد منهُ في القرن السابع القلم المعروف « بالغربي » وهو المستعمل الآن عند الموارنة واليعاقبة وتولد منهُ في القرن العاشر القلم المعروف « بالشرقي » المستعمل الآن عند الكلدان · وهو اقرب الى الاصل الاَّ ان القلم الغربي اكثر شيوعاً في الشرق والغرب · فترى الافرنج لا ينشرون الكتب السريانية الاَّ بهِ او بالقلم الاسطرنجيلي

عائشة التيمورية

توفيت في اواخر مايو الماضي شاعرة مصرية اشتهرت في عالم الادب بمتانة شعرها وجزالتهِ مما يندر في النساء · على ان المرأة المسلمة اصبحت منذ انحدار دولة العرب لا تلتفت الى الشعر ولا الى غيره من عوامل الادب · وقد نبغت هذه الشاعرة في اواخر القرن الماضي ونظمت القصائد في اكثر ابواب الشعر كما سيأتي

﴿ ترجمتها ﴾ هي كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور ولدت في القاهرة سنة ١٢٥٦ ﻫ ووالدتها جركسية فجعلوا يعلمونها في صباها ما جرت عادة اهل هذه البلاد في تعليمهِ للبنات مثل التطريز ونحوهِ وهي لا تميل الى ذلك ولكنها مالت الى القراءة واهملت التطريز ووالدتها تعدُّ ذلك نقصاً فيها · اما والدها فتوسم من وراء ذلك امرًا يوجب المراعاة فاحضر لها المعلمين يعلمونها اللغة والنحو والعروض وعكفت على مطالعة الشعر وكانت تلتذ بمطالعتهِ فمالت الى النظم ونظمت القصائد · وقبل التمكن من ذلك آن زواجها فتزوجت السيد محمود بك الاسلامبولي من اهل الاستانة فانشغلت بمهام المنزل واقتصرت على المطالعة وزاد انشغالها بالاولاد · وكان في جملة بناتها فتاة اسمها توحيدة لما كبرت اعتمدت عليها في امر المنزل · ثم توفي والدها سنة ١٢٨٩ ومات زوجها سنة ١٢٩٣ ﻫ فشغلت نفسها بالنظم فاستحضرت معلمتين اتقنت عليهما العروض والنحو واخذت في النظم على انواعهِ في اللغات العربية والفارسية والتركية فاجتمع من نظمها ثلاثة دواوين فارادت نشرها فأصيبت بوفاة ابنتها توحيدة فعكفت على الرثاء والندب ولم تعد تنظم

الشعر سبع سنوات متوالية حتى اصيبت عيناها بالرمد . ولم ترحيلة في القضاء فعادت الى نشر دواوينها فنشرت ديوانها التركي وسمته « شكوفة » ونشرت ديوانها العربي وسمته « حلية الطراز » وهو مشهور . ثم ألفت كتاباً في العربية سمته نتائج الاحوال وكتبت مقالات كثيرة في مواضيع ادبية متعددة وذاع اسمها في انحاء العالم العربي وما زالت على ذلك حتى دعاها القدر المحتوم فلبت الدعوة

﴿ شعرها ﴾ من احسن اشعارها الفخرية قصيدة اشتهرت بين قراء العربية هذه امثلة منها

بيد العفاف اصون عز حجابي * وبعصمتي أسمو على اترابي
وبفكرة وقادة وقريحة * نقادة قد كملت آدابي
ولقد نظمت الشعر شيمة معشر * قبلي ذوات الخدر والاحساب
ما قلته الا فكاهة ناطق * يهوى بلاغة منطق وكتاب
فجعلت مرآتي جبين دفاتر * وجعلت من نقش المداد خضابي
منطقت ربات البها بمناطق * يغبطنها في حضرتي وغيابي
عوذت من فكري فنون بلاغتي * بتميمة غرا وحرز حجاب
ما ساءني خدري وعقد عصابتي * وطراز ثوبي واعتزاز رحابي
ما عاقني خجلي عن العليا ولا * سدل الخمار بلمتي ونقابي

ومن نظمها في الغزل

منثور حسنك في الحشا سطرته * ورقيم خطك طالما كررته
سطر العذار تلونه فوجدته * يومي لسنك دمي وقد سلمته

ولها من قصيدة تصف بها مرض ابنتها وترثيها

طافت بشهر الصوم كاسات الردى * سحراً وأكواب الدموع تدورُ
فتناولت منها ابنتي فتغيرت * جنات خدّ شأنها التغيير
فذوت أزاهر الحياة بروضها * والقد منها مائس ونضير
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا * ان الطبيب بطبه مغرور
فتنفست للحزن قائلة له * «عجل ببرئي حيث انت خبير
وارحم شبابي ان والدتي غدت * ثكلى يشير لها الجوى ونشير
وارأف بعين حرمت طيب الكرى * تشكو السهاد وفي الجفون فتور»

لما رأت باس الطبيب وعجزه * قالت ودمع المقلتين غزير
« اماه قد كلّ الطبيب وفاتني * مما أؤمّل في الحياة نصير
لو جاء عرّاف اليمامة يبتغي * برئي لرد الطرف وهو حسير
أماه قد عز اللقاء وفي غد * سترين نعشي كالعروس يسير
قولي لرب اللحد رفقًا بابنتي * جاءت عروسًا ساقها التقدير
وتجلدي بازاء لحدي برهة * فتراك روح راعها المقدور
اماه قد سلفت لنا امنية * يا حسنها لو ساقها التيسير
صوني جهاز العرس تذكارًا فلي * قد كان منه الى الزفاف سرور
اماه لا تنسي بحق بنوتي * قبري لئلا يحزن المقبور »
فاجبتها والدمع يحبس منطقي * والدهر من بعد الجوار يجور
« بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي * قد زال صفو شأنه التكدير
قسماً بغض نواظر وتلهفي * مذ غاب انسان وفارق نور
والله لا أسلو التلاوة والدعا * ما غرّدت فوق الغصون طيور
اني الفت الحزن حتى انني * لو غاب عني ساءني التاخير
ابكيك حتى نلتقي في جنة * برياض خلد زينتها الحور »

مطبوعات جديدة

﴿ الطريقة المبتكرة ﴾ صدر الجزء الرابع من كتاب الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية تأليف شقيقنا ابراهيم افندي زيدان وهو مزين بالرسوم ومحلى بالشكل الكامل وفيه مقتطفات ادبية وتاريخية وعلمية وصناعية ما تلذ مطالعته وتجزل فائدته . فيستفيد منه المتعلم فوائد في الادب والعلم والصناعة والتاريخ فضلاً عن تعلمه القراءة

ومن المواضيع التاريخية الواردة في هذا الجزء محمد علي باشا وابو الطيب المتنبي وزهير ابن ابي سلمى والنابغة الذبياني وابو تمام وابو فراس وغيرهم . ومن الشعر منتخبات طلية . ومن الصناعة قطع في التصوير الشمسي واصطناع الورق والمرآة . ومن المواضيع الصحية وصايا في حفظ النظر ووقاية الحواس والرياضة الجسدية والهضم والامتصاص . ومن الجغرافية استدارة الارض ومحورها ومساحات القارات وانواع الجبال والسهول . ومن المواضيع

العلمية كلام في الطب وفروعه والعلوم الرياضية · و بباب الاكتشافات الحديثة كلام عن الفوتوغراف والبار ومتر والكهربائية والآلة الكاتبة والرسوم المتحركة والميكروسكوب والتلفون · واخيراً شذرات حكمية ورسائل وخطب لبلغاء العرب وكتابهم · و بالجملة فان هذا الجزء من افضل الكتب التعليمية المدرسية · فنحث اساتذة المدارس ورؤساءها على التدريس فيه وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء ٤ غروش و يعطى ٣٠ في المئة للمدارس

﴿ الاقبال ﴾ جريدة علمية تاريخية اخبارية فنية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لمدير تحريرها حضرة عبد الباسط افندي الانسي صاحب مطبعة المعارف · بدل اشتراكها في بيروت ولبنان ريال مجيدي وربع وفي عموم الولايات المحروسة ريال ونصف وفي سائر الجهات ثمانية فرنكات فنحث محبي المطالعة على اقتنائها · وفي العدد الاول منها كثير من المواضيع التاريخية والمباحث الادبية والاخبار المفيدة فنرجو لها النجاح

﴿ مرشد التاجر ﴾ عزم حضرة يوسف افندي كيال على نشر كتاب حسابي تجاري سماه مرشد التاجر في مسك الدفاتر واصدر فهرس ذلك الكتاب في العربية والفرنساوية · و يظهر من مراجعة الفهرس ان الكتاب سيكون اوسع وادق كتاب في هذا الموضوع فنرجو ان يتوفق الى اتمام نشره قريباً ان شاء الله

﴿ حاضر المصريين او سرّ تأخرهم ﴾ هو كتاب يبحث في الهيئة الاجتماعية المصرية اليوم وفي الاسباب التي دعت الى تأخرها · تأليف حضرة محمد افندي عمر احد مستخدمي البوسطة المصرية وقد قسمه الى ثلاثة ابواب الباب الاول بحث فيه عن الاغنياء واحوالهم من حيث الزواج والاولاد والتربية وانواعها وتطرق الى حال اولادهم بعد موت الآباء وما ينبع ذلك من احوالهم في المجالس الحسبية · والباب الثاني في متوسطي الحال وخصص فيه فصولاً ضافية للنظر في حال الازهر والازهريين والوعظ والوعاظ والمحاكم الشرعية والمدارس على طبقاتها والتجارة والزراعة والصناعة والمطابع والطباعة والكتب والمؤلفين والجرائد والمجلات وغير ذلك · و بحث في الباب الثالث في الفقراء واحوالهم وتعليمهم واخلاقهم وعاداتهم وخرافاتهم ونحو ذلك · وفي الكتاب جداول عظيمة الفائدة يعز العثور عليها الا بالبحث الطويل والعناء العظيم · و يظهر من تقليب صفحات الكتاب ان مؤلفه عانى مشقة كبرى في تأليفه لان استقصاء هذه المواضيع يحتاج الى عناية ودراية لاهمية الموضوع ووعورة مسالكه · والكتاب يباع في مكتبة الهلال وثمنه ٢٠ غرشاً والبريد

﴿ الانصاف ﴾ هو كتاب ديني اسلامي تصنيف الامام ابي محمد عبدالله بن

محمد بن السيد البطليوسي الاندلسي المتوفي سنة ٥٢١ للهجرة موضوعة التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم . وقد عني بتصحيحهِ وشرح ابياتهِ وضبط كلماتهِ اللغوية حضرة احمد افندي عمر المحمصاني الازهري وبلغت صفحات الكتاب ٢٢٦ صفحة وهو يباع في مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البوسطة ٢٠ بارة

❋ يوسف الصديق ❋ هي رواية تشخيصية تلحينية ادبية تاريخية لم يذكر مؤلفها ولكنها طبعت بنفقة حضرة محمد افندي الكتبي وهي تطلب من حضرتهِ بمصر وثمنها ٥ غروش

❋ قانون الصحة ❋ هو كتاب صحي تأليف حضرة كامل افندي زكي سكرتير المستر هورنبلور المفتش بنظارة الداخلية . ضمنهُ كثيرًا من الفوائد الصحية في استنشاق الهواء والتنفس وفي الغذاء وكيفية حفظ المأكولات وفي النوم واوقات الراحة وفي الملابس وعلاقتها بالطقس وفي المساكن والنظافة وفي الزواج وتربية الاطفال وغير ذلك من الفوائد الثمينة . وهو يطلب من حضرتهِ ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة فرنكان واجرة البوسطة عشرون بارة

❋ حريق ميت غمر ❋ هو كتاب مصوَّر يتضمن تاريخ ميت غمر القديم والحديث وتفصيلاً وافيًا عن حريقها الهائل واقوال الشعراء فيهِ . الفهُ رصيفنا عزتلو محمود حسيب بك منشىء مجلة المجلات العربية على اثر ما أصاب هذا البندر من الحريق ونشرهُ خدمة لاهلهِ فجعلهُ وقفًا للجنة اعانة المنكوبين تصرف أثمانهُ في سبيل اعالتهم . وقد شخص المؤلف بنفسهِ الى ميت غمر فتعهد اطلالها ونقل من مناظرها صورًا فوتوغرافية نشرها في ذلك الكتاب وهي تمثل حال تلك المدينة السيئة الحظ احسن تمثيل وفي جملة تلك الرسوم رسم ميت غمر قبل الحريق ثم صورة المؤلف في منزل متهدم فاطلال الحريق على اختلاف مناظرها والمنزل الذي انبعثت منهُ النار وخيام الجرحى واستخراج الموتى وشفع ذلك كلهُ برسم شاعر مصر عزتلو احمد بك شوقي وترجمة حالهِ وما نظمهُ في وصف هذا الحريق وقصيدة للشاعر المطبوع حافظ افندي ابراهيم . وبلغ عدد رسوم الكتاب ٣١ رسمًا جميلاً مطبوعًا طبعًا متقنًا على ورق صقيل . وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البوسطة غرش . فنشكر لصديقنا حسيب بك على اريحيتهِ وغيرتهِ جزاه الله خيرًا

❋ ديوان عرف الخزام ❋ هو كتاب جامع منظومات عزتلو عبد المسيح انطاكي بك صاحب جريدة العمران في مآثر بعض الافاضل وفيهِ رسوم اكثر الممدوحين وفي جملتهم السادة اساقفة الكرسي الانطاكي وغيرهم والكتاب صفحاتهُ ١٤٤ صفحة كبيرة ويطلب من حضرة مؤلفهِ بمصر وثمن النسخة عشرة غروش مصرية